الانسجام بين المهاجرين من مكة وعرب المدينة وذلك بعد اقرار السلام بين قبيلتي الاوس والخزرج وايقاف الحروب بينهما. وتمت عملية دمج المهاجرين بالانصار على شكل مؤاخاة، وهذه المؤاخاة كانت منهجاً جديداً في حياة العرب، وذلك أنها أحتلت رابطة العقيدة محل رابطة الدم، وعلى اساس العقيدة تم انشاء نواة امة جديدة ستتطور لتصبح امة عظمى (١٨).

لم تكن رسالة الاسلام مقصورة على بلاد العرب وحدها لان الله سبحانه وتعالى ارسل محمداً خاتماً للنبيين والرسل وشاهداً ومبشراً ونذير ليهدي كافة الناس لدين الحق. ومن ثم اصبحت مهمة الرسول بعد ان اتم نشر الاسلام في الجزيرة العربية ان يدعو الامم المجاورة للاسلام. وتروى بعض المصادر العربية ان الرسول اوفد بعد صلح الحديبية رسلاً الى هرقل وكسرى والمقوقس والحارث الغساني والحارث الحميري، يدعوهم الى اعتناق الاسلام، وانه قد صنع لنفسه خاتماً فضياً نقشت عليه عبارة « محمد رسول الله » وختم به رسائله اليهم (١٩).

والذي يهمنا من امر هذه الرسائل ان الوفد الذي حمل الرسالة الى هرقل كان يرأسه دحية بن خليفة الكلبي، قد وصل الى حمص حيث كان هرقل في طريقه الى بيت المقدس لاعادة الصليب المقدس الى مكانه بعد ان استرده من الفرس. وقد تليت الرسالة على هرقل فلم يغضب، ورد على الرسالة رداً حسناً.

والواقع ان البيزنطيين لم يدركوا اهمية الدين الاسلامي ولا التطور الذي بدأ يحدث في البلاد العربية في المرحلة الاولى من العهد الاسلامي. والغالب انهم نظروا الى هذا الدين على انه مجرد مذهب او هرطقة جديدة من الهرطقات التي كانت تظهر في العالم المسيحي، وان الاسلام كان مذهباً مشابهاً للمذهب المينوفيزتي مذهب الطبيعة الواحدة (٢٠). كما وان بعض المؤرخين البيزنطينيين هم أيضاً لم يهتموا ببيان طبيعة العقيدة الاسلامية (٢١).

والمصادر تروي ان اولى الاعمال العسكرية ضد البيزنطينيين في بلاد الشام بدأت منذ عهد الرسول، وكانت اخر قوة جهزها قبل وفاته اراد ارسالها الى بلاد الشام ثم توفي (٢٢)، فكانت اول الجيوش التي تحركت زمن ابي بكر، وعلى الرغم من

(١٨) البلاذري — فتوح البلدان — ص ١٧ — ص ٣٠.

(19) Vasiliev, op. cit, p. 211. الطبري — ج ١ — ص ١٧٤١ حوادث عام ١٠ هـ.

(20) Baynes and Moss, op. cit, p. 309.

(21) Baynes and Moss, op. cit p. 11, Vasiliev, op. cit, P.208.

(٢٢) البلاذري المصدر السابق — ص ٧١.

هذا فأن حروب الردة قد عطلت العمل ضد بيزنطة في الشام لفترة وجيزة من الزمن، وبعد القضاء على الردة بدأت الاعمال العسكرية هناك لكن بعد ان بدأت في العراق بعدة اشهر.

ففي عام ٦٣٤م استنفر الخليفة ابو بكر العرب في بقاع الجزيرة وشكل ثلاثة جيوش ضم كل واحد منها ثلاثة الاف ثم امدها الى ان وصلت الى السبعة، وجعل على رأس هذه الجيوش يزيد بن ابي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، وعمرو بن العاص، ورافق هذه الجيوش عدد من مشاهير المسلمين والصحابة مثل ابي عبيدة بن الجراح، وخالد بن سعيد بن العاص، ويبدو أن مهمة أبي عبيدة كانت العمل كضابط ارتباط لهذه الجيوش الثلاثة وصلة وصل لها بالخلافة، ولم تتحرك هذه الجيوش كتلة واحدة، وانما جاء تحركها على دفعات كل دفعة ذهبت في اتجاه معين (٢٣). ويرى البعض ان سبب ذلك يعود الى عدم وجود خطة واضحة في ذهن ابي بكر حول مهمة هذه الجيوش: فتح ام اعمال غارة ؟ وان ابار بكر كانت تصله قوات قبيلة مامن قلب الجزيرة فيدفعها نحو بلاد الشام تخلصاً منها وحتى ترى حظها، وكان يستجيب لتطورات الاحوال (٢٤).

والذي يبدو ان واقع الحال لم يكن هكذا ابداً فابو بكر مثله بقية القرشيين كان يعرف بلاد الشام واحوالها بشكل جيد، وكانت هناك دائماً آمال مع خطط لفتح الشام وتحريره من سيطرة البيزنطينيين، وكان مما يشجع على ذلك احوال بلاد الشام البشرية حيث انها كانت عربية المشاعر وعربية الجنس والاعراق.

تحركت القوات العربية باتجاه بلاد الشام، وكانت خطتهم قبل الاصطدام المباشر مع البيزنطينيين هو ارسال مجموعات صغيرة هدفها مهاجمة القوات البيزنطينية بسرعة ومن ثم اجبار العدو على الملاحقة. اي بعبارة اخرى استخدموا نظام الكر والفر وهو النظام الذي كان معروفاً قبل الاسلام. وكانت القوات العربية تتجمع بين اونة واخرى لتنزل ضربات كبيرة بالقوات البيزنطينية، وهكذا فقد اصطدمت القوات العربية بقوات بيزنطة في اكثر من معركة كبيرة كانت كلها مقدمة لمعركة فاصلة وقعت في اليرموك (٢٥).

---

(٢٣) الواقدي ــ فتوح الشام ــ ج ١، (القاهرة ــ ١٩٥٤ م)، ص ٢ ــ ص ــ٤ ــ البلاذري ــ المصدر السابق ــ ص ١١٥ ــ ص ١١٦.

(24) Baynes and Moss, op. cit, p. 11.

(٢٥) البلاذري ــ المصدر السابق ــ ص ١١٧، ص ١٢٠، ص ١٢٢، ص ١٢٥، ص ١٢٧، ص ١٤٠، الواقدي ــ ج ١ المصدر نفسه، ــ ص ١٠، ص ١٢، ص ٢٥، ص ٣٤، ص ٧٠، ص ٧٢ ص ١٠٥.

ايقن الامبراطور هرقل الذي كان انذاك مقيماً في حمص ان الامر لم يعد غارة عابرة بل حرب منظمة فاسرع يعد الجيوش ودفع بها الى جنوب الشام تحت قيادة اخيه ثيودور Theodore ووصلت اخبار التحرك البيزنطي هذه الى العرب فكتب أبو عبيدة بخبرها الى ابي بكر فكتب الخليفة الى خالد بن الوليد الذي كان انذاك في العراق بالتوجه فوراً الى بلاد الشام (٢٦).

استجاب خالد للاوامر وتحرك نحو الشام فاجتاز الصحراء — بادية الشام — بسرعة مدهشة وكان عبوره الى الشام من اعظم الاعمال العسكرية واكثرها مغامرة وشجاعة، وقد نتج عن هذا العبور نتائج كبيرة، فقد ظهر بشكل مفاجيء في منطقة دمشق وجنوب بلاد الشام، فهاجم بصري وهزم حاميتها ثم صالح اهلها فاصبح سيد منطقة حوران، واربك ظهور خالد المفاجيء هذا ثيودور وكان سبب اخفاق مهمته، وبعث خالد النشاط والحماس بين القوات العربية، ومن حوران راسل خالد امراء الجيوش العربية وطلب منهم ان يلاقوه جميعاً في منطقة اجنادين ليس بعيداً عن الرملة (٢٧).

وفي اجنادين عام ٦٣٤ م التقت القوات العربية التي قاربت الخمس والعشرين الفاً مع القوات البيزنطينية بقيادة ثيودور، وكانت تفوق القوات العربية عدداً وعدة (٢٨). وهزم خالد البيزنطينيين والحق بثيودور العار وجعله يفر نحو اخيه. وسقط حاكم فلسطين البيزنطي بين القتلى، ولقد حررت هذه المعركة فلسطين من الحكم البيزنطي واعادتها عربية الشعب والحكم والعقيدة، وهذه المعركة تشابه من هذه الزاوية في نتائجها معركة القادسية بالنسبة للعراق. وبعد معركة اجنادين توفي الخليفة ابو بكر وتولى امر المسلمين عمر بن الخطاب.

وبعد اجنادين اصبح الطريق مفتوحاً امام العرب للتحرك نحو دمشق، وقبيل مشارف دمشق هزم العرب النجدات البيزنطينية التي ارسلها هرقل في معركتين عنيفتين للغاية في مرج الصفر وفحل، ووصلوا اسوار دمشق واخذوا في حصارها حتى سقطت عام ٦٣٥ م (٢٩). وعقب سقوطها تحركت سراياهم شمالاً لتحرر كلاً

---

(٢٦) البلاذري المصدر نفسه — ص ١١٨، ص ١٢٠، الواقدي — المصدر نفسه ج ١ — ص ١٤.

(٢٧) الواقدي المصدر نفسه — ج ١ — ص ٣٤.

(٢٨) يذكر الواقدي — المصدر نفسه ج ١ — ص ٤١ (ان عدد القوات البيزنطينية بلغت ٩٠ تسعين الفاً، قتل منهم في موقعه اجنادين خمسون الفاً).

(٢٩) الواقدي — المصدر نفسه — ج ١ ص ٤٣، البلاذري — المصدر نفسه — ص ١٢٧.

من مدينة حماة وحمص وبعلبك وغيرهما في العام ذاته. لكن بيزنطة ماكانت لتتخلى عن بلاد الشام دون ان تبذل كل مابقي لديها من طاقات، فجند هرقل جيشاً لجباً ضم جنسيات الامبراطورية، يونان وغساسنة وارمن وغيرهم، وزحفت القوات البيزنطينية جنوباً تريد اقتلاع العرب وتحطيمهم. وازاء زحف البيزنطينيين قررت القيادة العربية الانسحاب الى موقع يمكنهم من السيطرة على الموقف، فانسحبت القوات العربية جنوباً متخلية عن جميع المدن والاراضي التي اخذتها، وتجمعت هذه القوات في منطقة اليرموك. ونشط خالد بن الوليد في اعداد خطط العرب نشاطاً واسعاً تجلت فيه عبقريته العسكرية. وطبق خالد خططه بوعي وشجاعة، فسبب تحطيم القوات البيزنطينية التي بلغ تعدادها حسب رواية البلاذري مائتي الف مقاتل بيزنطي وكان ذلك في صيف عام ٦٣٦م (٣٠).

ومما لاشك فيه ان معركة اليرموك كانت احدى معارك التاريخ الانساني الكبرى، لما نجم عنها من نتائج. فبعد هذه المعركة عاد العرب فاستعادوا دمشق والمناطق التي حرروها من قبل وتابعوا زحفهم شمالاً حتى جبال طوروس وفر الامبراطور هرقل نحو القسطنطينية وهو يردد: « وداعا ياسورية وداعا لالقاء بعده » (٣١). فقد حررت اليرموك سورية من الحكم البيزنطي ورسخت طابعها العربي.

وبعد اليرموك استطاع العرب من تحرير القدس ونظفوا الشام كله من الجيوب البيزنطينية واخذوا يعدون العدة للتحرك نحو مصر لتأمين الشام ولاسباب اخرى. لذلك سار عمرو بن العاص الى مصر في اواخر عام ٦٣٨ م ونجح في الاستيلاء على مدينة الفرما بعد شهر من حصارها اوائل عام ٦٤٠ م. ومنها تقدم الى بلبيس وتحصن البيزنطينيون في حصن اليون. واخيراً استطاع عمرو اقتحام باب الحصن والاستيلاء عليه (٣٢). وحين انسحب البيزنطينيون نحو الاسكندرية، طاردتهم القوات العربية وحاصرتهم هناك. ولم يستمر الحصار طويلاً فقد دبت الفوضى في العاصمة البيزنطينية بعد موت هرقل بسبب الوراثة على العرش، هذا بالاضافة الى ازدياد خطر اللمبارديين في ايطاليا. لذلك اضطرت الامبرطورية البيزنطينية فتح باب المفاوضات مع العرب مرة اخرى، وانتهى الامر بصلح الاسكندرية. واهم هذه

---

(٣٠) البلاذري ــ المصدر نفسه ــ ص ١٤٠.

(٣١) البلاذري ــ نفس المصدر السابق ــ ص ١٤٢.

(٣٢) الواقدي ــ نفس المصدر السابق = ج ٢ ــ ص ٣٢ ــ ص ٤٤.